مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

السيطرة الرومانية على البحر الأبيض المتوسط وأثرها على التجارة البحرية

د. شعبان علي أبوراس. أ. مفتاح أحمد الربيعي.

قسم التاريخ، كلية الآداب، الخمس، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

البريد الإلكتروني للمؤلف المكلف بالتواصل: saaburas@elmergib.edu.ly

Article history

Received: 3 May 2026 | Accepted: 24 Jun 2026 | Published: 14 Sep 2026

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى استكشاف نشأة البحرية الرومانية وتطورها، وتحليل الاستراتيجيات التي اعتمدتها روما؛ للهيمنة على البحر المتوسط، وكشف تأثير هذه الهيمنة على التجارة والموانئ، وقد أظهرت النتائج أن السيطرة البحرية لم تكن مجرد وسيلة عسكرية، بل كانت استراتيجية شاملة، تهدف إلى تحقيق الهيمنة الاقتصادية والسياسية، مما جعل البحر المتوسط فضاءً موحدًا تحت النفوذ الروماني، إن التداخل بين القوة العسكرية والاقتصاد، يبرز أن البحر كان عنصرًا حيويًا في تشكيل هوية الإمبراطورية الرومانية، ورسم ملامح تاريخ المتوسط.

الكلمات المفتاحية: البحرية الرومانية - البحر المتوسط – السيطرة البحرية – التجارة البحرية

ROMAN DOMINATION OF THE MEDITERRANEAN SEA AND ITS IMPACT ON MARITIME COMMERCE

A B S T R A C T:

This research explores the origins and development of the Roman navy, analyzes the strategies Rome adopted to dominate the Mediterranean Sea, and reveals the impact of this dominance on trade and ports. The findings demonstrate that naval control was not merely a military tool, but a comprehensive strategy aimed at achieving economic and political hegemony, thus transforming the Mediterranean into a unified space under Roman influence. The interplay between military power and economics highlights the vital role of the sea in shaping the identity of the Roman Empire and defining the history of the Mediterranean.

Keywords: Roman Navy - Mediterranean Sea - Naval Control - Maritime Trade

مقدمة البحث:

عندما نتأمل تاريخ البحر المتوسط، ندرك أنه لم يكن مجرد مساحة مائية، تفصل بين القارات، أو تجمع بين الشواطئ، بل كان ساحة لصراع طويل على النفوذ والسيطرة، وفضاءً للتبادل التجاري والثقافي بين حضارات متنوعة، في قلب هذا المشهد، برزت روما كقوة صاعدة، استطاعت أن تتحول من دولة برية تعتمد على جيوشها، إلى إمبراطورية بحرية تمتد أذرعها عبر المتوسط بأسره، أدرك الرومان أن السيطرة على اليابسة وحدها لا تكفي لبناء إمبراطورية، وأن البحر هو الطريق الحقيقي لضمان التفوق العسكري والاقتصادي.[1]

[1] وفاء الساعدي رزق الله، النتائج السياسية للتوسع الروماني في شرق البحر المتوسط 146–27 ق.م،مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد(38)، مصر،2016،ص336.

منـذ الحـروب البونيـة ضـد قرطـاج، بـدأ الرومـان فـي بنـاء أسـطول قـوي، قـادر علـى مواجهـة أعظـم القـوى البحريـة فـي عصـرهم، ومـع مـرور الـزمن، لـم تعـد السـفن مجـرد أدوات للحـرب، بـل أصـبحت وسـيلة لتنظـيم التجـارة وتـأمين طرقهـا، ممـا جعـل البحـر المتوسـط أشـبه ببحيـرة رومانيـة، تخضـع لقـوانين الإمبراطوريـة، لـم تكـن هـذه السـيطرة عسـكرية فحسـب، بـل امتـدت لتشـمل إدارة المـوانئ، وتنظـيم حركـة البضـائع، وضمان تدفق الحبوب والسلع الأساسية إلى قلب روما[2].

عنـد النظـر بـتمعن إلـى سياسـة الرومـان تجـاه البحـر المتوسـط، نلاحـظ تـداخلًا عميقًـا بـين القـوة العسـكرية والاقتصـاد، حيـث لـم يكـن الانتصـار فـي المعـارك البحريـة هـدفًا بحـد ذاتـه، بـل وسـيلة لفـرض الهيمنـة علـى طـرق التجـارة، وضـمان اسـتقرار الـداخل، المـوانئ التـي خضـعت لرومـا لـم تكـن مجـرد نقـاط عبـور، بـل تحولـت إلـى مراكـز اقتصـادية مزدهـرة، تـربط بـين الشـرق والغـرب، وتغـذي الإمبراطوريـة بمـا تحتاجـه مـن مـوارد، وهكـذا، أصـبح البحـر المتوسـط فضـاءً موحـدًا تحـت سـيطرة رومـا، يعكس التوازن بين السيف والميزان، وبين القوة العسكرية والمصالح الاقتصادية.[3]

يسـعى هـذا البحـث إلـى تتبـع نشـأة البحريـة الرومانيـة، وتطورهـا عبـر المراحـل التاريخيـة المختلفـة، مـرورًا بأسـاليب الهيمنـة علـى البحـر المتوسـط، وصـولًا إلـى مـا أحدثتـه تلـك السـيطرة مـن تـأثيرات عميقـة، علـى التجـارة البحريـة والمـوانئ، ومـن خـلال هـذا التتبـع الزمنـي، يتضـح أن البحـر لـم يكـن مجـرد خلفيـة جغرافيـة، بـل كـان عنصـرًا فـاعلًا فـي تشـكيل هويـة الإمبراطوريـة الرومانيـة، ورسـم ملامـح تـاريخ البحـر المتوسـط بأسره.

أولا– مشكلة البحث:

تتمثـل إشـكالية هـذا البحـث فـي استكشـاف كيفيـة تمكـن الرومـان مـن تحويـل البحـر الأبـيض المتوسـط، مـن سـاحة مفتوحـة تتنـافس فيهـا القـوى البحريـة المختلفـة، إلـى منطقـة خاضـعة لسـلطتهم، وكيـف أثـرت هـذه الهيمنـة علـى حركـة التجـارة والاقتصـاد فـي المنطقـة، السـؤال المحـوري هنـا هـو: **هـل كانـت السـيطرة البحريـة مجـرد وسـيلة عسـكرية لحمايـة الإمبراطوريـة، أم أنهـا كانـت استراتيجية شاملة لإعادة تشكيل طرق التجارة والموانئ بما يخدم مصالح روما؟**

ثانيا–أسئلة البحث:

[2] Alex Michael ELLIOTT, THE ROLE OF THE ROMAN NAVY IN THE SECOND PUNIC WAR: THE STRATEGIC CONTROL OF THE MEDITERRANEAN*,Ediciones Universidad de Salamanca ,2018,p12.

[3] عماد خليل، السفن والموانئ في البحر المتوسط من العصر الكلاسيكي إلى العصر الروماني،الاتحاد العام للآثاريين العرب وجامعة محمد الأول، المغرب، 2012،ص694.

1. هـل كانـت سياسـة الهيمنـة البحريـة مجـرد وسـيلة عسـكرية لحمايـة الإمبراطوريـة، أم هـدفا لإعادة تشكيل طرق التجارة والموانئ، بما يخدم مصالح روما؟

2. مـا هـي السياسـة التـي اعتمـدها الرومـان لفـرض هيمنـتهم علـى التجـارة البحريـة فـي حـوض البحر المتوسط؟

3. كيـف أثـرت السـيطرة البحريـة علـى التجـارة والمـوانئ فـي البحـر الأبـيض المتوسـط، ومـا هـي تداعياتها على الاقتصاد الروماني والإقليمي؟

ثالثا-أهمية البحث:

- يسلط الضوء على العلاقة بين القوة العسكرية والاقتصاد في بناء الإمبراطوريات.
- يوضـح دور البحـر الأبـيض المتوسـط، كحلقـة وصـل للتواصـل والتبـادل التجـاري والثقـافي بين الحضارات.
- يقـدم رؤيـة تاريخيـة، تسـهم فـي فهـم أنمـاط السـيطرة البحريـة، وتأثيرهـا علـى تشـكيل الاقتصـاد العالمي القديم.

رابعا-أهداف البحث:

- تحليل نشأة وتطور البحرية الرومانية، في سياق التحولات العسكرية والسياسية.
- دراسة الاستراتيجيات التي استخدمها الرومان، للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط.
- الكشـف عـن تـأثير هـذه السـيطرة علـى التجـارة البحريـة والمـوانئ، وربطهـا بالاسـتقرار الاقتصادي للإمبراطورية.

خامسا-منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال:

- تتبـع الأحـداث التاريخيـة المتعلقـة بـالحروب البحريـة، والصـراعات فـي البحـر الأبـيض المتوسط.
- الاستفادة من الدراسات الحديثة، التي تربط بين القوة البحرية والاقتصاد في العالم القديم.

المبحث الأول: نشأة وتطور البحرية الرومانية

عنـدما نتأمـل فـي بـدايات رومـا، نجـد أنهـا كانـت فـي الأصـل قـوة بريـة، تعتمـد علـى جيوشـها المنظمـة، وقـدرتها علـى التوسـع عبـر اليابسـة، لكـن سـرعان مـا أصـبح البحـر المتوسـط، بمـا يحملـه مـن فـرص ومخـاطر، جـزءًا لا يمكـن تجاهلـه فـي الـوعي الرومـاني، حيـث أدركـت القـوى الكبـرى السـابقة، مثـل: الفينيقيـين واليونـانيين؛ أن السـيطرة علـى البحـر، تعنـي الـتحكم فـي طـرق التجارة والتواصل، مما دفع الرومان للتفكير في بناء قوة بحرية خاصة بهم[4].

فـي البدايـة، لـم يكـن لـدى الرومـان خبـرة كبيـرة فـي الملاحـة أو صـناعة السـفن، لـذا اسـتلهموا تقنيـات مـن الشـعوب المجـاورة، ومـع تصـاعد الصـراع مـع قرطـاج خـلال الحـروب البونيـة، وجـدوا أنفسـهم مضـطرين لتطـوير أسـطول قـادر علـى مواجهـة واحـدة مـن أعظـم القـوى البحريـة فـي ذلـك الوقـت،

[4] William V. Harris,Rome at sea: The beginnings of roman naval power,Greece and Rome, Vol(64) ,No(1),2017,pp14-26.

كانـت هـذه اللحظـة بمثابـة نقطـة تحـول، حيـث انتقـل الرومـان مـن الاعتمـاد علـى البـر، إلـى بنـاء قـوة بحرية منظمة، مزودة بسفن حربية، قادرة على خوض معارك واسعة النطاق[5].

لقـد كانـت الحـروب البونيـة بمثابـة مدرسـة عمليـة للرومـان، حيـث تعلمـوا فنـون القتـال البحـري، وابتكـروا وسـائل جديـدة، مثـل: الجسـور الخشـبية التـي تـربط السـفن أثنـاء المعـارك، ممـا أتـاح لهـم تحويـل المواجهـات البحريـة إلـى قتـال يشـبه المعـارك البريـة التـي كـانوا يجيـدونها، هـذا الابتكار منحهم تفوقًا نوعيًا، وأظهر أن القدرة على التكيف والابتكار كانت جزءًا من قوتهم[6].

الأسـطول الرومـاني لـم يكـن مجـرد قـوة عسـكرية عـابرة، بـل تحـول تـدريجيًا إلـى مؤسسـة متكاملـة، لهـا قواعـدها وموانئهـا وورشـها الخاصـة، إضـافة إلـى أنظمـة تـدريب ولوجسـتيات دقيقـة، تضـمن اسـتمرار الإمـدادات وصـيانة السـفن، هـذا التنظـيم جعـل البحريـة قـادرة علـى العمـل فـي أوقـات الحـرب والسـلم، حيـث لعبـت دورًا مزدوجًـا: حمايـة طـرق التجـارة، وتـأمين السـواحل مـن جهـة، وربط أقاليم الإمبراطورية عبر شبكة بحرية واسعة من جهة أخرى[7].

ومـع توسـع رومـا، لـم يعـد البحـر المتوسـط عائقًـا جغرافيًـا، بـل أصـبح فضـاءً مفتوحًـا، يـربط بـين قـارات وثقافـات متعـددة، ممـا منحهـا القـدرة علـى فـرض نفوذهـا علـى منـاطق بعيـدة، وقـد تطـورت السـفن الرومانيـة بسـرعة مـن نمـاذج بسـيطة، مسـتوحاة مـن الفينيقيـين واليونـانيين، إلـى تصـميمات أكثـر ملاءمـة للمعـارك البحريـة، تجمـع بـين السـرعة والمنـاورة، والقـدرة علـى حمـل الجنـود والمعدات الثقيلة[8].

هـذا التطـور لـم يكـن تقنيًـا فقـط، بـل شـمل أيضًـا الإدارة والتنظـيم، حيـث أنشـئت ورش لصـناعة السـفن، وحـددت قواعـد لتوزيـع الأسـاطيل علـى المـوانئ؛ المختلفـة لضـمان سـرعة الاسـتجابة، كمـا أدرك الرومـان أن البحـر شـريان اقتصـادي أساسـي، فاسـتخدموا سـفنهم لنقـل الحبـوب مـن مصـر، والزيـت مـن شـمال أفريقيـا، والمعـادن مـن شـبه الجزيـرة الإيبيريـة، ممـا جعـل الأسطول أداة عسكرية واقتصادية في آن واحد[9].

إلـى جانـب ذلـك، لعـب الأسـطول دورًا مهمًـا فـي مكافحـة القرصـنة التـي كانـت تهـدد التجـارة، فبفضـل الـدوريات البحريـة المنظمـة، أصـبح المتوسـط أكثـر أمانًـا، وازدهـرت المـوانئ كمراكـز حيويـة للتبـادل التجـاري، كمـا أولـى الرومـان اهتمامًـا بتـدريب القـادة علـى فنـون إدارة الأساطيل وتنسيق العمليات، وهو ما عزز قدراتهم الحربية و تحقيق الانتصارات البحرية[10].

---

[5] بلعيد حسن،حنبعل والحرب البونية الثانية(218-201ق.م)،رسالة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر -2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،(2012-2013م)،ص54.

[6] Leon Shpilsky,THE CORVUS – ROMAN NAVAL BOARDING DEVICE: A NEW PERSPECTIVE ENGINEERING AND RECONSTRUCTION,2023,pp4-7.

[7] سماح مصطفى أبو زيد،البيئة القديمة للموانئ الرومانية الغارقة فيما بين رأسي أبو حشافة وعلم الروم دراسة مقارنة في الساحل الشمالي الغربي لمصر باستخدام مخطط أعماق لدراسة البيئة القديمة للموانئ، المجلة المصرية للتغيير البيئي، المجلد(16)، العدد(خاص)،2024، ص ص ١٩٤-١٩٥.

[8] Ian L. Debenham, The Origin of the Roman Navy,Latomus ,T. 76, Fasc. 3 (2017), pp. 637.

[9] Kevin Friesen, Feeding an Empire: Why Egyptian grains played a key role in the food provisioning of the Roman Empire,Wageningen University & Research, Economics of Development,2021,p10.

[10] سهام حداد، القرصنة البحرية في حوض البحر المتوسط القديم، مجلة البحوث التاريخية، المجلد(7)، العدد(2) ،2023،ص91.

لا شـــك بـــأن نشـــأة البحريـــة الرومانيـــة وتطورهـــا؛ يعكـــس تحـــولًا عميقًـــا فـــي هويـــة الإمبراطوريـــة: مـــن قـــوة بريـــة منغلقـــة داخـــل حـــدودها، إلـــى قـــوة بحريـــة منفتحـــة علـــى فضـــاء واســـع، ومـــن جـــيش يعتمـــد علـــى البـــر، إلـــى مشـــروع هيمنـــة بحريـــة شـــاملة، هـــذا التحـــول كـــان خطـــوة أساســـية فـــي بناء الإمبراطورية الرومانية، التي جعلت من البحر المتوسط فضاءً رومانيًا بامتياز.

ولقـــد كـــان ظهـــور الأســـطول الرومـــاني، انعكاسًـــا لتحـــول اســـتراتيجي فـــي طبيعـــة الدولـــة، إذ لـــم يعـــد البحـــر مجـــرد فضـــاء خـــارجي، بـــل أصـــبح جـــزءًا مـــن بنيتهـــا العســـكرية والاقتصـــادية، هـــذا التحـــول لـــم يكـــن وليـــد اللحظـــة، بـــل جـــاء نتيجـــة إدراك أن الســـيطرة علـــى طـــرق التجـــارة البحريـــة؛ تعنـــي الســـيطرة علـــى مـــوارد الغـــذاء والمعـــادن والســـلع الأساســـية، وهـــو مـــا جعـــل بنـــاء الأســـطول ضـــرورة وجوديـــة، لا مجـــرد خيـــار عســـكري، إن إدمـــاج البحـــر فـــي مشـــروع الإمبراطوريـــة، مـــنح رومـــا القـــدرة علـــى تجـــاوز حـــدودها البريـــة، وربطهـــا بشـــبكة واســـعة مـــن المـــوانئ والطـــرق البحريـــة، ممـــا أســـس لمرحلة جديدة من التوسع والهيمنة[11].

المبحث الثاني: السيطرة على البحر المتوسط

عنـــدما تمكـــن الرومـــان مـــن إنشـــاء أســـطول بحـــري قـــوي، لـــم يكـــن هـــدفهم مجـــرد حمايـــة ســـواحلهم، أو مواجهـــة أعـــدائهم المباشـــرين، بـــل كانـــت رؤيـــتهم أوســـع بكثيـــر: تحويـــل البحـــر الأبـــيض المتوســـط إلـــى مجـــال خاضـــع لســـلطتهم المطلقـــة، أدركـــوا أن الســـيطرة علـــى البحـــر؛ تعنـــي الســـيطرة علـــى طـــرق التجـــارة، والـــتحكم فـــي تحركـــات الجيـــوش، وضـــمان تـــدفق المـــوارد إلـــى قلـــب الإمبراطوريـــة، ومـــن هنـــا بـــدأت تتبلـــور اســـتراتيجيات شـــاملة، تجمـــع بـــين القـــوة العســـكرية والدبلوماســـية والتنظـــيم الإداري[12].

فـــي الغـــرب، كـــان الصـــراع مـــع قرطـــاج، هـــو الاختبـــار الأول لهـــذه الاســـتراتيجيات، فقـــد كانـــت الحـــروب البونيـــة بمثابـــة اختبـــار حقيقـــي لقـــدرة رومـــا علـــى فـــرض نفوذهـــا البحـــري، لـــم يكـــن الأمـــر مجـــرد معركـــة عســـكرية، بـــل كـــان صـــراعًا علـــى طـــرق التجـــارة فـــي غـــرب المتوســـط، خاصـــة تلـــك التـــي تـــربط إيطاليـــا بشـــمال أفريقيـــا وإســـبانيا، ومـــن خـــلال سلســـلة مـــن المعـــارك البحريـــة، تمكـــن الرومـــان مـــن إضـــعاف قرطـــاج تـــدريجيًا، حتـــى أصـــبحت الســـيطرة علـــى الغـــرب شـــبه كاملـــة، هـــذه الســـيطرة لـــم تقتصـــر علـــى البحـــر فحســـب، بـــل امتـــدت لتشـــمل المـــوانئ الحيويـــة، التـــي شـــكلت نقـــاط ارتكاز للتجارة والإمداد.[13]

أمـــا فـــي الشـــرق، فقـــد واجهـــت الإمبراطوريـــة الرومانيـــة واقعًـــا أكثـــر تعقيـــدًا، إذ كـــان العـــالم الهلنســـتي يضـــم قـــوى متعـــددة، مثـــل: مصـــر البطلميـــة، وســـوريا الســـلوقية، ومقـــدونيا، وكـــل منهـــا يمتلـــك أســـاطيل ومـــوانئ مهمـــة، هنـــا لـــم تعتمـــد رومـــا علـــى القـــوة العســـكرية وحـــدها، بـــل لجـــأت إلـــى أســـاليب متنوعـــة فـــي التعامـــل مـــع تلـــك القـــوى؛ فتـــارة تـــدعم طرفًـــا ضـــد آخـــر، وتـــارة تتـــدخل مباشـــرة لفـــرض نفوذهـــا، ومـــع

[11] Herodotus ,Herodotus' Histories, TRANSLATION BY A. D. GODLEY, CAMBRIDGE, MASSACHUSETTS HARVARD UNIVERSITY PRESS ,LONDON ,WILLIAM HEINEMANN LTD,Book II,1920,p275.

[12] Daniela Dantas, Mare Nostrum: Military History and Naval Power in Rome (2nd c. BCE 1st c. CE, Tese especialmente elaborada para obtenção do grau de Doutor no ramo de História, na especialidade de História Antiga ,2020,p245.

[13] BRET C. DEVEREAUX, Strategy and Cost, Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte ,Bd. 69, H. 4 (2020), p464.

مـــرور الـــزمن، تمكنـــت مـــن إخضـــاع هـــذه القـــوى تـــدريجيًا، حتـــى أصـــبح الشـــرق أيضًـــا جـــزءًا مـــن الفضاء الروماني[14].

كانـــت سياســـة الإمبراطوريـــة الرومانيـــة قائمـــة علـــى مبـــدأ أساســـي: وهـــو أن يكـــون البحـــر الأبـــيض المتوســـط فضـــاءً موحـــدًا تحـــت ســـيطرة رومـــا، ولتحقيـــق ذلـــك؛ لـــم يكتفـــوا بالانتصـــارات العســـكرية، بـــل أنشـــأوا نظامًـــا متكـــاملاً لإدارة البحـــر، فقـــد وزعـــت الأســـاطيل علـــى منـــاطق مختلفـــة، بحيـــث يكـــون لكـــل جـــزء مـــن المتوســـط قـــوة بحريـــة مخصصـــة لحمايتـــه، كمـــا وضـــعوا قواعـــد لتنظـــيم حركـــة المـــرور البحـــري، وضـــمان أمـــن الســـفن التجاريـــة، ممـــا جعـــل البحـــر أكثـــر أمانًـــا، وأقـــل عرضـــة للاضطرابات.[15]

ومـــن أبـــرز ملامـــح هـــذه الاســـتراتيجية أيضًـــا: الجمـــع بـــين القـــوة البحريـــة والبريـــة، كـــان الرومـــان يـــدركون أن الســـيطرة علـــى البحـــر؛ لا تكتمـــل إلا بالســـيطرة علـــى المـــوانئ والســـواحل، ولـــذلك حرصـــوا علـــى ربـــط العمليـــات البحريـــة بالعمليـــات البريـــة، بحيـــث يـــتم إخضـــاع المـــدن الســـاحلية والمـــوانئ الكبـــرى، لتصـــبح نقـــاط ارتكـــاز دائمـــة للأســـاطيل، هـــذا الـــدمج بـــين البـــر والبحـــر، مـــنحهم القـــدرة علـــى الـــتحكم الكامـــل فـــي الفضـــاء المتوســـطي، وجعـــل مـــن البحـــر أداة لتوســـيع نفـــوذهم، بـــدلاً من أن يكون مجرد حاجز جغرافي[16].

لقـــد نجحـــت هـــذه الاســـتراتيجيات فـــي تحويـــل البحـــر الأبـــيض المتوســـط إلـــى مـــا يشـــبه "بحيـــرة رومانيـــة"، حيـــث لـــم يعـــد هنـــاك منـــافس قـــادر علـــى تهديـــد النفـــوذ الرومـــاني، ومـــع هـــذا النجـــاح، أصـــبحت رومـــا قـــادرة علـــى فـــرض قوانينهـــا علـــى التجـــارة، والـــتحكم فـــي حركـــة البضـــائع، وضـــمان تـــدفق المـــوارد إلـــى العاصـــمة، وهكـــذا، لـــم تكـــن الســـيطرة البحريـــة مجـــرد إنجـــاز عســـكري، بـــل كانـــت مشـــروعًا اســـتراتيجيًا متكـــاملاً، أعـــاد تشـــكيل خريطـــة البحـــر الأبـــيض المتوســـط، وربـــط بـــين أقاليمـــه المختلفة، تحت مظلة الإمبراطورية الرومانية.

إن الســـيطرة علـــى البحـــر المتوســـط، لـــم تكـــن مجـــرد سلســـلة مـــن الانتصـــارات العســـكرية، بـــل مشـــروع سياســـي واقتصـــادي متكامـــل، هدفـــه تحويـــل البحـــر إلـــى فضـــاء داخلـــي موحـــد تحـــت ســـلطة الإمبراطوريـــة، هـــذا المشـــروع تجســـد فـــي مفهـــوم "بحـــر الـــروم"، الـــذي يعكـــس رؤيـــة اســـتراتيجية، تـــرى أن البحـــر لـــيس ســـاحة مفتوحـــة للتنـــافس، بـــل مجـــالًا خاصًـــا بالإمبراطوريـــة، يـــربط بـــين أقاليمهـــا ويعـــزز وحـــدتها، لقـــد أصـــبح البحـــر أداة لإعـــادة تشـــكيل الجغرافيـــا السياســـية، حيـــث لـــم يعـــد يفصـــل بـــين الشـــعوب، بـــل يجمعهـــا فـــي إطـــار واحـــد، ممـــا جعـــل الســـيطرة البحريـــة أساسًـــا للهويـــة الرومانيـــة، ولتفوقها على القوى المناف[17].

المبحث الثالث: تأثير السيطرة البحرية على التجارة والموانئ

عنـــدما اســـتولى الرومـــان علـــى البحـــر الأبـــيض المتوســـط، لـــم يكـــن ذلـــك مجـــرد انتصـــار عســـكري، بـــل كـــان بمثابـــة تحـــول اقتصـــادي عميـــق، أعـــاد تشـــكيل طـــرق التجـــارة والمـــوانئ فـــي

[14] عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ط1، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان،2011، ص306.

[15] Daniela Dantas,Op. Cit ,p247.

[16] علي أحمد هارون،نظريات الاستراتيجية– نظريات القوة البرية، أسس الجغرافية السياسية،2022، ص ص 333–342.

[17] John Briscoe& Simon Hornblower, Livy: Ab Urbe Condita Book XXII. Cambridge University Press; 2020,p172.

المنطقـــة، أدركـــوا أن الســـيطرة علـــى البحـــر لا تكتمـــل إلا إذا تجســـدت فـــي حركـــة البضـــائع، وتـــدفق المـــوارد، لـــذا اســـتثمروا قـــوتهم البحريـــة لحمايـــة وتنظـــيم التجـــارة، ممـــا جعـــل البحـــر المتوســـط فضـــاءً اقتصاديًا موحدًا تحت سلطتهم.[18]

وفـــي هـــذا الســـياق، تبـــرز أهميـــة تنظـــيم المـــوانئ؛ حيـــث عمـــل الرومـــان علـــى تطـــوير المـــوانئ الرئيســـية، مثـــل: أوســـتيا بـــالقرب مـــن رومـــا، والإســـكندرية فـــي مصـــر، وكورنـــث فـــي اليونـــان، لتصـــبح مراكـــز حيويـــة تـــربط بـــين الشـــرق والغـــرب، لـــم تكـــن هـــذه المـــوانئ مجـــرد نقـــاط عبـــور، بـــل تحولـــت إلـــى شـــبكات متكاملـــة، تســـتقبل البضـــائع وتوزعهـــا عبـــر الإمبراطوريـــة، ومـــن خـــلال هـــذا التنظـــيم، أصـــبح مـــن الممكـــن ضـــمان وصـــول الحبـــوب والزيـــت والمعـــادن والســـلع الشـــرقية إلـــى قلـــب رومـــا بشـــكل منـــتظم ومستقر.[19]

كمـــا لعـــب الأســـطول الرومـــاني دورًا محوريًـــا فـــي حمايـــة طـــرق التجـــارة البحريـــة، فقـــد كانـــت القرصـــنة تمثـــل تهديـــدًا دائمًـــا للتجـــار والســـفن، لكـــن الـــدوريات البحريـــة المنظمـــة ســـاهمت فـــي تقليـــل هـــذا الخطـــر بشـــكل كبيـــر، وبفضـــل هـــذه الحمايـــة، تمكـــن التجـــار مـــن التنقـــل بأمـــان، ممـــا شـــجع علـــى زيـــادة حجـــم التجـــارة، وتنـــوع الســـلع المتبادلـــة، وهكـــذا، لـــم تعـــد التجـــارة مجـــرد نشـــاط اقتصـــادي محـــدود، بـــل أصبحت ركيزة أساسية لاستقرار الإمبراطورية وازدهارها.[20]

انعكســـت الســـيطرة البحريـــة أيضًـــا علـــى طبيعـــة الســـلع المتداولـــة، فقـــد شـــكلت الحبـــوب القادمـــة مـــن مصـــر، أســـاس الأمـــن الغـــذائي لرومـــا، وأصـــبح الزيـــت مـــن شـــمال أفريقيـــا، عنصـــرًا أساســـيًا فـــي الحيـــاة اليوميـــة، بينمـــا ســـاهمت المعـــادن مـــن إســـبانيا، فـــي دعـــم الصـــناعات العســـكرية والاقتصـــادية، أمـــا الســـلع الشـــرقية، مثـــل: التوابـــل والحريـــر، فقـــد أضـــافت بعـــدًا ثقافيًـــا واقتصـــاديًا جديـــدًا، ممـــا جعـــل مـــن رومـــا مركـــزًا عالميًـــا للتبـــادل التجـــاري، هـــذا التنـــوع فـــي الســـلع، يعكـــس كيـــف أن الســـيطرة البحرية لم تكن مجرد حماية، بل كانت وسيلة لفتح آفاق جديدة أمام الاقتصاد الروماني.[21]

مـــن جهـــة أخـــرى، ســـاهمت الســـيطرة البحريـــة فـــي تعزيـــز التكامـــل بـــين أقـــاليم الإمبراطوريـــة، لـــم تعـــد المـــوانئ معزولـــة، بـــل أصـــبحت جـــزءًا مـــن شـــبكة مترابطـــة، حيـــث تتـــدفق البضـــائع مـــن الشـــرق إلـــى الغـــرب، ومـــن الشـــمال إلـــى الجنـــوب، فـــي حركـــة دائمـــة، تعكـــس وحـــدة الفضـــاء المتوســـطي، هـــذا التكامـــل لـــم يكـــن اقتصـــاديًا فحســـب، بـــل كـــان أيضًـــا سياســـيًا وثقافيًـــا، إذ ســـاعد علـــى نشـــر القـــوانين الرومانية، وتعزيز الهوية المشتركة بين الشعوب الخاضعة للإمبراطورية.[22]

---

[18] Antonio Luigi Paolilli Historical Social Research / Historische Sozialforschung, Historical Social Research / Historische Sozialforschung ,Vol. 33, No. 4 (126), Focus: Stochastic Demographic Dynamics and Economic Growth / Stochastische Bevölkerungsdynamik und Wirtschaftswachstum, (2008), p279.

[19] أحمد سعيد بدر، دراسة أثرية عمرانية لميناء الإسكندرية وتطوره في القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة الدراسات الإنسانية والادبية، المجلد(23)، العدد(1)،2020، ص247.

[20] James Lacey, 'Roman Naval Power', Rome: Strategy of Empire (New York, 2022; online edn, Oxford Academic, 18 Aug. 2022,pp87–92.

[21] علي عبد الله علي الفتني؛ الحسين إبراهيم أبو العطا ؛ حمدان ربيع عطية المتولي، معاصر الزيت الرومانية من خلال الشواهد الأثرية شمال غرب مسلاته بمدينة لبدة الكبرى من القرن الأول وحتى الرابع الميلادي ، المجلة العلمية لكلية الآداب-جامعة دمياط ، المجلد(12)، العدد(2)،2023،ص96.

[22] Justin Leidwanger, 'Maritime Interaction and Mediterranean Communities', Roman Seas: A Maritime Archaeology of Eastern Mediterranean Economies (New York, 2020; online edn, Oxford Academic, 23 Apr. 2020),p16.

إن تـــأثير الســـيطرة البحريـــة علـــى التجـــارة والمـــوانئ يوضـــح أن القـــوة العســـكرية، كانـــت وسـيلة لتحقيـق أهـداف اقتصـادية أوسـع، لـم يسـع الرومـان إلـى السـيطرة علـى البحـر لمجـرد الهيمنـة، بـل اسـتغلوا هـذه السـيطرة لضـمان اسـتقرار الـداخل، وتـوفير المـوارد، وتعزيـز مكانـة رومـا كقـوة عالميـة، وهكـذا، أصـبح البحـر الأبـيض المتوسـط لـيس فقـط سـاحة للمعـارك، بـل فضـاءً اقتصـاديًا متكاملًا، يعكس قوة الإمبراطورية الرومانية، وقدرتها على الجمع بين السيف والميزان.

ولقـد أحـدثت السـيطرة البحريـة تحـولًا اقتصـاديًا عميقًـا، إذ لـم تعـد التجـارة نشـاطًا محليًـا محـدودًا، بـل أصـبحت شـبكة مترابطـة، تغـذي العاصـمة بـالموارد، وتـربط بـين الشـرق والغـرب فـي حركـة دائمـة، المـوانئ الكبـرى تحولـت إلـى مراكـز اقتصـادية مزدهـرة، تسـتقبل السـلع وتوزعهـا عبـر الإمبراطوريـة، ممـا جعـل البحـر المتوسـط شـريانًا اقتصـاديًا عالميًـا فـي عصـره، هـذا التكامـل لـم يقتصـر علـى الاقتصـاد، بـل امتـد إلـى السياسـة والثقافـة، حيـث سـاهم فـي نشـر القـوانين الرومانيـة، وتعزيـز الهويـة المشـتركة للشـعوب الخاضـعة، وهـو مـا يوضـح أن السـيطرة البحريـة؛ كانـت وسـيلة لإعادة تشكيل المجتمع المتوسطي بأسره[23].

الخاتمة:

تُظهـر دراسـة العلاقـة بـين الرومـان والبحـر الأبـيض المتوسـط بوضـوح؛ أن السـيطرة البحريـة لـم تكـن مجـرد وسـيلة عسـكرية، بـل كانـت اسـتراتيجية شـاملة، تهـدف إلـى تعزيـز النفـوذ السياسـي والاقتصـادي علـى مسـاحة جغرافيـة شاسـعة، فقـد أدرك الرومـان أن البحـر المتوسـط يمثـل شـريان التجـارة العالميـة فـي عصـرهم، وأن السـيطرة علـى موانئـه وطرقاتـه، تعنـي السـيطرة علـى تـدفق السـلع والثـروات، ممـا يضـمن اسـتقرار الإمبراطوريـة، وتفوقهـا علـى القـوى المنافسـة، لقـد أسسـت الأسـاطيل الرومانيـة، إلـى جانـب التنظـيم الإداري للمـوانئ والطـرق البحريـة، قاعـدة لهيمنـة اقتصادية مستدامة، تجلت في ازدهار التجارة، وتكامل الأسواق بين الشرق والغرب.

النتائج:

- أثبتـت الهيمنـة البحريـة الرومانيـة؛ أن القـوة البحريـة تعـد عنصـرًا حاسـمًا فـي بنـاء الإمبراطوريات العظيمة، إذ ضمنت الأمن التجاري والاستقرار السياسي.
- سـاهمت الاسـتراتيجية البحريـة فـي دمـج منـاطق متباعـدة، ضـمن شـبكة اقتصـادية واحـدة، مما عزز التبادل الثقافي والحضاري.
- أظهـرت التجربـة الرومانيـة؛ أن التفـوق العسـكري وحـده لـيس كافيًـا، بـل يجـب أن يكـون مصحوبًا بتنظيم إداري وتجاري فعال.
- أدت السـيطرة علـى البحـر المتوسـط إلـى تحويلـه إلـى "بحيـرة رومانيـة"، ممـا مـنح الإمبراطورية تفوقًا استراتيجيًا على المدى الطويل.

التوصيات:

- ضـرورة دراسـة التجربـة الرومانيـة، كنمـوذج مقـارن؛ لفهـم العلاقـة بـين القـوة البحريـة، والهيمنـة الاقتصادية في العصور القديمة والحديثة.

[23] Wilhelmina Feemster Jashemski, Frederick G. Meyer, The Natural History of Pompeii,Cambridge University Press, 2002,p329.

– التركيـــز علـــى البعـــد الإداري والتنظيمـــي، بجانـــب القـــوة العســـكرية، عنـــد تحليـــل اســـتراتيجيات السيطرة البحرية.

– الاســـتفادة مـــن التجربـــة الرومانيـــة، فـــي فهـــم ديناميكيـــات التجـــارة العالميـــة المعاصـــرة، حيـــث تظل الممرات البحرية تمثل عصب الاقتصاد الدولي.

– تشـــجيع الدراســـات المقارنـــة بـــين الإمبراطوريـــة الرومانيـــة، والقـــوى البحريـــة اللاحقـــة (مثـــل: الفينيقيـــين أو القـــوى الأوروبيـــة الحديثـــة)؛ لإبـــراز أوجـــه التشـــابه والاخـــتلاف فـــي اســـتراتيجيات السيطرة البحرية.

قائمة المصادر والمراجع:

اولا– المصادر الكلاسيكية:

- Herodotus ,Herodotus' Histories, TRANSLATION BY A. D. GODLEY, CAMBRIDGE, MASSACHUSETTS HARVARD UNIVERSITY PRESS ,LONDON ,WILLIAM HEINEMANN LTD,Book II,1920.
- John Briscoe& Simon Hornblower, Livy: Ab Urbe Condita Book XXII. Cambridge University Press; 2020.
- Wilhelmina Feemster Jashemski, Frederick G. Meyer, The Natural History of Pompeii,Cambridge University Press, 2002.

ثانيا– المصادر والمراجع العربية:

– أحمـــد ســـعيد بـــدر، دراســـة أثريـــة عمرانيـــة لميناء الإســـكندرية وتطـــوره فـــي القـــرن التاســـع عشـــر المـــيلادي، مجلـــة الدراسات الإنسانية والأدبية، المجلد (23)، العدد (1)، 2020.

– بلعيـــد حســـن، حنبعـــل والحـــرب البونيـــة الثانيـــة (218–201 ق.م)، رســـالة ماجســـتير منشـــورة، جامعـــة الجزائـــر – ٢، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (2012–2013م).

– ســـماح مصـــطفى أبـــو زيـــد، البيئـــة القديمـــة للمـــوانئ الرومانيـــة الغارقـــة فيمـــا بـــين رأســـي أبـــو حشـــافة وعلـــم الـــروم دراســـة مقارنـــة فـــي الســـاحل الشـــمالي الغربـــي لمصـــر باســـتخدام مخطـــط أعمـــاق لدراســـة البيئـــة القديمـــة للمـــوانئ، المجلـــة المصرية للتغيير البيئي، المجلد (16)، العدد (خاص)، 2024.

– ســـهام حـــداد، القرصـــنة البحريـــة فـــي حـــوض البحـــر المتوســـط القـــديم، مجلـــة البحـــوث التاريخيـــة، المجلـــد (7)، العـــدد (2)، 2023.

– عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ الروماني، ط١، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 2011.

– علي أحمد هارون، نظريات الاستراتيجية – نظريات القوة البرية، أسس الجغرافية السياسية، 2022.

– علـــي عبـــد الله علـــي الفتنـــي؛ الحســـين إبـــراهيم أبـــو العطـــا؛ حمـــدان ربيـــع عطيـــة المتـــولي، معاصـــر الزيـــت الرومانيـــة مـــن خـــلال الشـــواهد الأثريـــة شـــمال غـــرب مســـلاته بمدينـــة لبـــدة الكبـــرى مـــن القـــرن الأول وحتـــى الرابـــع المـــيلادي، المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة دمياط، المجلد (12)، العدد (2)، 2023.

– عمـــاد خليـــل، الســـفن والمـــوانئ فـــي البحـــر المتوســـط مـــن العصـــر الكلاســـيكي إلـــى العصـــر الرومـــاني، الاتحـــاد العـــام للآثاريين العرب وجامعة محمد الأول، المغرب، 2012.

– وفـــاء الســـاعدي رزق الله، النتـــائج السياســـية للتوســـع الرومـــاني فـــي شـــرق البحـــر المتوســـط 146–27 ق.م، مجلـــة بحوث الشرق الأوسط، العدد (38)، مصر، 2016.

ثالثا- المصادر والمراجع الأجنبية:

- Alex Michael Elliott, The Role of the Roman Navy in the Second Punic War: The Strategic Control of the Mediterranean, Ediciones Universidad de Salamanca, 2018.

- Antonio Luigi Paolilli, Historical Social Research / Historische Sozialforschung, Vol. 33, No. 4 (126), 2008.

- Bret C. Devereaux, Strategy and Cost, Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, Bd. 69, H. 4, 2020.

- Daniela Dantas, Mare Nostrum: Military History and Naval Power in Rome (2nd c. BCE – 1st c. CE), Doctoral Thesis, 2020.

- Ian L. Debenham, The Origin of the Roman Navy, Latomus, T. 76, Fasc. 3, 2017.

- James Lacey, Roman Naval Power, in Rome: Strategy of Empire, New York, 2022; online edn, Oxford Academic, 18 Aug. 2022.

- Justin Leidwanger, Maritime Interaction and Mediterranean Communities, in Roman Seas: A Maritime Archaeology of Eastern Mediterranean Economies, New York, 2020; online edn, Oxford Academic, 23 Apr. 2020.

- Kevin Friesen, Feeding an Empire: Why Egyptian Grains Played a Key Role in the Food Provisioning of the Roman Empire, Wageningen University & Research, Economics of Development, 2021.

- Leon Shpilsky, The Corvus – Roman Naval Boarding Device: A New Perspective Engineering and Reconstruction, 2023.

- William V. Harris, Rome at Sea: The Beginnings of Roman Naval Power, Greece and Rome, Vol. 64, No. 1, 2017